«ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً»

القتل والعنف والتعصب .. ظواهر دخيلة على الإسلام

كلمة الاسلام مشتقة من كلمة « السلام » ويشكل السلام أحد الأركان الهامة في العقيدة الإسلامية . وقد ذكرت كلمة «السلام» في القرآن أكثر من 14. مرة. ويؤكد الاسلام على نبذ العنف والقتل ويقول القرآن « من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا»السورة 5 الآيه 32» وقد بين النبي محمد صلوات الله عليه السلوك الصحيح للمسلم فقال « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» وقد أشار القرآن لهذا الموضوع في مراحل الوقاية الثلاث.

الوقاية الأولية من العنف:

يبدأ أسلوب الاسلام في الوقاية من العنف قبل الميلاد حيث يوصي الزوج باختيار شريكة حياته من مجتمع جيد مسالم فيقول الحديث الشريف « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس» « كما يوصي الرسول بتجنب زواج الاقارب فيقول الحديث الشريف « اغتربوا لا تضووا».

ويوصي الرسول صلوات الله عليه – الشباب الا يتزوج فتاة لجمالها فقط إذا كانت قد نشات في بيئة سيئة لان مثل هذه الفتاة تشبه زهرة نمت في بيئة فاسدة فيقول « إياكم وخضراء الدمن وهي المراة الجميلة في منبت السوء» وهذه الوصايا لتجنب الجينات المريضة ».

ويعطي الاسلام للايام الأولى في الحياة أهمية خاصة ففيها تشكل شخصية الفرد ولهذا السبب يؤكد الاسلام على أهمية هذه الايام ويحرص على نضج الأخلاقيات والسلوك الحميد وتنشيط الارادة.

ويؤكد السيد الرسول صلوات الله عليه على التأكيد لتعليم الأبناء مبادئ الصلاة قبل السابعة. وهذا يتطلب النظافة والوضوء وقراءة القرآن وتقليد سلوك الوالدين أثناء الصلاة والاستماع إليهم وهم يقرأون القرآن والاجابه عما يوجه إليهم من أسئلة اثناء هذه الفترة الحرجة من العمر.

وتؤدي هذه الخطوات الى النضج السريع الصحي الخالي من العدوان والعنف والذي يتسم بالسلام والحب والطاعة وهذه الوقاية الأولية مسئولية عدة أطراف فالوالدين والأسرة يأتيان أولا يليها المدرسة والنادي والجيران والأصدقاء والزملاء ووسائل الأعلام والقادة أو الزعماء في كل منطقة . كما انها لها أهمية كبرى في أماكن العبادة كالمساجد والكنائس.

ان هذه الهيئات إذا تعاونت مع بعضها في عملية التنشئة فانها تعطينا جيلا ناجحا خاليا من العنف.

الوقاية الثانية :-

قد ينشأ العنف من كثير من الأسباب المرضية سواء كانت اجتماعية أو نفسية أو عضوية أو اقتصادية أو غير ذلك. والتشخيص المبكر هام جدا لمعالجة هذه الأمراض المختلفة والتعامل معها. ولا بد للمجتمع ان يكون مستعدا لاقامة مراكز العلاج اللازم لمواجهة هذه الحالات واعطاء العلاج المبكر والمتابعة . ولا بد للطبيب النفسي والأخصائي النفسي والأخصائي الاجتماعي والمرشد الديني ان يعملوا كفريق واحد في هذه المراكز. ويؤكد القرآن هذا الاتجاه حيث يقول« ولتكن منكم أمه يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » السورة 3 الآيه «104» . واذا نجح المجتمع في تحقيق هذه الأهداف فان مشكلة العنف سوف تقل .. ان العنف يولد العنف. ولا بد للجهات المعنية ان تعالج هذه الظاهرة في جميع المجالات. فلا بد من تحليل العنف ومعرفة دوافعه ومعالجتها حسب طبيعتها . ويقول القرآن «ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم».

الوقاية الثالثة :

قد تستمر حالات العنف بسبب خطا العلاج أو غير ذلك من الأمراض وهذه الحالات تحتاج التأهيل والعلاج في مراكز خاصة تستعمل احدث الأجهزة والأساليب التي من بينها الأسلوب الديني. ولا بد للمجتمع ان يسهل إنشاء هذه المراكز وتبني سياستها الوقائية على الأسلوب الاجتماعي الديني.

ولا بد ان تبتعد هذه المراكز عن المفاهيم القديمة على اعتبار انها مراكز للعقوبة ويؤكد القرآن على هذه المبادئ فيقول« ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا » والكثير من الحالات تستجيب للوقاية الثالثة ويعودون الى المجتمع الذي يجب عليه ان يسهل حياتهم ويقبلهم كمواطنين عاديين وهذا يتطلب القيام بدور المتابعة لتجنب النكسة .

دور العدالة في الوقاية من العنف :

لقد وضع الاسلام حدودا معينة لا يجب تجاوزها كما ان هناك انواعا خاصا من العقوبة تطبق على من يتجاوز هذه الحدود وذلك لتحقيق التوازن في المجتمع وللحيلولة دون احتمال الأخذ بالثار . ولكن على الرغم من كل هذه الاحتياطات فان الاسلام يشجع الناس على التسامح والعفو. وهذا الاتجاه يساعد على تقوية صلابة شخصية الفرد المسلم واستقرارها ويقول القرآن في هذا المعنى « فمن عفا واصلح فاجره على الله » .

ويقول أيضا « وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ».

ولا تنطبق هذه القواعد على الافراد فقط ولكنها تنطبق على المجتمعات والحكومات أيضا ويقول القرآن في هذا المعنى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين».

هذه هي المبادئ الإسلامية العالمية بخصوص مشكلة العنف وهي المبادئ التي وضعت موضع التطبيق في عمليات العنف في الخليج والتي ثبتت فاعليتها وقد يتبادر الى ذهن احدكم ان يسال « ولماذا نركز على الدين ؟ وللرد على هذا نقول انه إذا كان هناك قانون له علاقة بالدين فلا شك انه يكتسب قوة إضافية اكثر مما لو لم يكن كذلك. وهذا يدعو العلوم المتعلقة بعلم النفس ان توسع قاعدتها وتركز اكثر واكثر في ثقافات الشعوب وعاداتها لكي تستخرج منها العناصر التي لها علاقة بدياناتها للعمل على تقويتها وبذلك تدخل بسرعة في انماط السلوك.

ان الاسلام عندما يوفر قاعدة عريضة لمقاومة العنف فانه يكون بذلك قد حفظ حقوق الافراد واكد على التزاماتهم ويكون بذلك قد ساعد على ايجاد مجتمعا متوازنا .

وقد أعلن الاسلام عن حقوق الأطفال والوالدين والمراة وحقوق الفقراء وحقوق المرضى النفسيين وكبار السن .

ان كل هذه الحقوق إذا اتبعت واخذت ما تستحقه من عناية واهتمام سوف تضمن مجتمعا يستمتع بالصحة ويخلو من الظلم والعنف والكراهية .

■ الدين الحنيف يوصي الزوج باختيار زوجته من منبع طيب أصيل

■ العلاج التأهيلي والنفسي مهم في حالة إصرار الشخص على العنف

■ «ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم» .. مبدأ إسلامي صميم

الحكمة والموعظة الحسنة

ذكر الله في كتابه العزيز ثلاثة أساليب من أساليب الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى- في آية واحدة عند قوله تعالى:ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [النحل: 125].

وهي:

1 – الحكمة.

2 – الموعظة الحسنة.

3 – الجدال بالتي هي أحسن.

قال ابن القيم –رحمه الله-: "جعل سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق. فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرهبة، والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن "«1».

وقال في موضع آخر: "والدعوة إلى الله بالحكمة للمستجيبين، والموعظة الحسنة للمعرضين الغافلين، والجدال بالتي هي أحسن للمعاندين المعارضين، فهذه حال اتباع المرسلين وورثة النبيين "«2».

سئل ابن باز –رحمه الله-: من واقع خبرتكم الطويلة في هذا المجال.. ما هو الأسلوب الأمثل للدعوة؟

فأجاب: "الأسلوب –مثل ما بينه الله عز وجل- واضح في كتاب الله وسنة نبيه- صلى الله عليه وسلم-، يقول سبحانه وتعالى: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [النحل: 125]، ويقول تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ [آل عمران: 159]ويقول –عز وجل- في قصة موسى وهارون لما بعثهما إلى فرعون: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى [طه: 44] فالداعي إلى الله يتحرى الأسلوب الحسن والحكمة في ذلك وهي: العلم بما قاله الله وورد في الحديث النبوي الشريف، ثم الموعظة الحسنة والكلمات الطيبة التي تحرك القلوب وتذكرها بالآخرة والموت، وبالجنة والنار حتى تقبل القلوب الدعوة وتقبل عليها وتصغي إلى ما يقوله الداعي "«3».

والدعوة إلى الله بالمجادلة الحسنة واضحة وبينة، فالجدال مخاصمة بين طرفين حول مسألة ما، ويحتوي على ادعاء معين ورد على ذلك الادعاء، فالمطلوب من الداعية أن يكون جداله حسنا من حيث اللفظ والمعنى والمظهر، وكل ما يتعلق بالجدال ينبغي أن يكون حسنا؛ حتى يكون أدعى لاستجابة المدعو، وقد بينا فيما سبق المجادلة بالتي هي أحسن كأسلوب من أساليب الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى-، وما نتكلم عنه حالا وهو الحكمة والموعظة الحسنة، وقبل أن نشرع بالكلام عنهما لا بد أتبين الماهية والحقيقة لهما.

من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

«مرج البحرين يلتقيان .. بينهما برزخ لا يبغيان»

■ يتجمع نحو 97% من الماء الموجود على سطح الأرض في محيطات وبحار الأرض على شكل ماء مالح

■ الأدلة العلمية المكتشفة تفحم الكفار وتؤكد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

تحدث القرآن الكريم قبل اربعة عشر قرنا عن ظاهرة فيزيائية عجيبة، لا يمكن للبشر مشاهدتها بالعين المجردة ، تحدث عنها في ثلاث آيات

وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا» [الفرقان: 53]

وقوله عز وجل: « أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » [النمل: 61]

: « مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » [الرحمن: 19-21].

ذهب علماء التفسير إلى رأيين في حديثهم عن «الحاجز» أو «البرزخ» الموجود بين البحرين:

مال الفريق الأول إلى أن الحاجز هو كيان مادي مشاهد، وهو اليابسة التي تفصل ما بين البحار والأنهار؛ فتحول دون إختلاط المياه ببعضها البعض.

أما الفريق الثاني من المفسرين فقالوا: أن البرزخ هو حاجز معنوي –غير مادي- يمنع إختلاط مياه البحار المالحة مع مياه الأنهار العذبة عند منطقة التقائهما.

ومن الواضح أن الرأي الأول يجافي الحقيقة ويتعارض بشكل واضح مع مدلول هذه الآيات، وخاصة آيات سورة التي تؤكد أن البرزخ ينشأ عند التقاء ماء البحرين، لهذا لا يمكن بأي حال من الأحوال تفسير البرزخ والحجر المحجور على أنها اليابسة التي تفصل ما بين البحار والأنهار. وكذلك فإنه لا يوجد وجه إعجاز واضح يفحم الكافرين بوجود الله عز وجل في كون اليابسة هي الفاصل الذي يفصل بين البحار والأنهار.

أما منتهى الإعجاز في الخلق أن تلتقي البحار المالحة مع البحار العذبة دون أن تختلط مياههما من خلال وجود هذا البرزخ العجيب.

أما كلمة ﴿مَرَجَ﴾ التي وردت في هذه الآيات فتعني عملية الخلط أو الجمع بين مياه البحرين في مكان واحد. وسنبين في هذه المقالة أن وجود البرزخ بين المياه العذبة والمياه المالحة معجزة كبرى من معجزات الله في هذا الكون؛ ولولاه لأصبحت حياة البشر وبقية الكائنات الحية في خطر؛ بسبب شح المياه العذبة على سطح الأرض.

يتجمع ما نسبته 97% من الماء الموجود على سطح الأرض في محيطات وبحار الأرض على شكل ماء مالح،والتي تغطي ما يقرب من سبعين بالمائة من سطح الأرض. بينما تبلغ نسبة المياه العذبة في الأرض ثلاثة بالمائة فقط، وتقدر بما يقرب من مائة مليون كيلومتر مكعب، وهي موزعة على اليابسة على شكل جليد في مناطق القطبين، وعلى شكل ثلوج في المرتفعات الشاهقة، وكمياه جوفية في طبقات القشرة الأرضية، وكمياه سائلة في البحيرات والأنهار والجداول والتربة، وكبخار ماء في الغلاف الجوي.

فالمياه المتجمدة في القطبين تشكل 70% من مياه اليابسة، أي ما يقرب من سبعين مليون كيلومتر مكعب.

أما المياه الجوفية فتشكل 20% من مياه اليابسة، أي ما يقرب من عشرين مليون كيلومتر مكعب. وأما مياه البحيرات العذبة فتشكل0.3% من مياه اليابسة أي ما يقرب من ثلاثمائة ألف كيلومتر مكعب، ومثلها تقريبا في البحيرات المالحة.

وأما المياه الموجودة في التربة فتشكل واحد ونصف من عشرة بالمائة من مياه اليابسة، أي ما يقرب من مائة وخمسون الف كيلومتر مكعب. وأما المياه الموجودة في الغلاف الجوي على شكل بخار فتشكل ثلاثة بالمائة من مياه اليابسة، أي ما يقرب من ثلاثين الف كيلومتر مكعب.

أما مياه الأنهار والجداول فتشكل ثلاثة بالألف بالمائة من مياه اليابسة، أي ما يقرب من ثلاثة آلاف كيلومتر

تشير الدراسات إلى أن ما يزيد عن خمسين بالمئة من سكان العالم يعتمدون على المياه الجوفية لشربهم، و مزروعاتهم وسقاية مواشيهم. وتشير كذلك إلى أن سبعين بالمائة من سكان العالم يعيشون على شواطيء المحيطات والبحار، ويعتمدون في الغالب على المياه الجوفية التي تكون على شكل انهار خفية تجري تحت سطح الأرض، وتصب في هذه المحيطات والبحار. إن هذه المياه الجوفية العذبة تختلط بشكل مباشر بمياه المحيطات والبحار المالحة إلى اعماق كبيرة تحت سطح مستوى البحر. وكان من المفترض ان تتلوث المياه الجوفية العذبة بمياه البحار الشديدة الملوحة بسبب هذا الإختلاط؛ إلا أن البشر لم يحدث أن اشتكوا من مثل هذا ، ولم يعرفوا السبب الذي يحول دون هذا التلوث.

وأول من لاحظ وجود حاجز مائي بين المياه الجوفية العذبة ومياه البحار المالحة العالم الهولندي غيبن «Baden-Ghyben» في عام 1888م، والعالم الألماني هيرزبيرغ «Herzberg» في عام 1901م. ولقد تمكن العالمان وبشكل مستقل من إشتقاق علاقة تحدد عمق الحاجز عن سطح البحر، ولهذا سميت العلاقة بإسميهما وهي علاقة غيبن-هيرزبيرغ «Ghyben-Herzberg relation».